نظم الجمان
في شرح نظم ابن كيران
في البيان

تأليف

العلامة القاضي سيدي

أحمد سكيرج الأنصاري الخزرجي

تحقيق

ذ محمد الراضي كنون

الحسني الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما

نظم الجمان[1]

الحمد لله الذي أبان مجاز الحقيقة. لكل من تمسك بحبل الشريعة. فاستنار قلبه بنور الهداية. حتى صارت نفسه الأمارة بالسوء لمولاها مطيعة. و الصلاة و السلام على من أرسله الله للعالمين رحمة. يعسوب الأرواح و ينبوع كل حكمة. و الواسطة في كل نعمة.

محمد سيد الكونين و الثقلين و الفريقين من عرب و من عجم[2]

و على آله المطهرين من الرجس تطهيرا. و على أصحابه الذين أنار الله بهم طريق الحق تنويرا. و على كل من اقتفى أثرهم بإحسان على ممر الأزمان. و بعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاه. الراجي مغفرته و رحماه، من لم يزل على أبواب فضل ربه يعرج. أحمد بن الحاج العياشي سكيرج. كان الله له و لوالديه. و أحسن لهما و إليه مع سائر المسلمين. و جعل الجميع من المقربين لديه آمين.

لما سأل مني بعض الشرفاء الأعيان. أصلح الله لي و له الأحوال في كل مقام مدى الأحيان. أن أطالع معه أرجوزة العلامة المحقق الدراكة المدقق المبرز في حلبة النظم و النثر على منصة الإتقان بين سائر الأقران. الشيخ الطيب بن عبد المجيد ابن كيران [3] رحمه الله تعالى. التي وضعها في علم البيان. و أسعفته في مقصوده على أني في

---

[1] نظم الجمان في شرح نظم ابن كيران، للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، شرع في تصنيفه أواخر سنة 1328هـ_1910م، بيد أنه اكتفى بكتابة صفحات قليلة منه، ثم انشغل عنه بكتبه الأخرى، أما اختياره لعنوانه فالذي يبدو لي أنه استقاه من تأليف في الغرض نفسه للعلامة عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي، مؤلف نظم الجمان في علم البيان.

[2] هو البيت رقم 34 من بردة المديح للشيخ سيدي محمد بن سعيد البوصيري.

[3] الطيب بن محمد بن عبد المجيد بن كيران، من أعيان علماء المغرب في عصره، ولد بفاس سنة 1172 هـ، له مؤلفات تنيف على العشرين، من بينها رسائل عديدة في النحو و المنطق والبيان، أذكر منها: نظم للأجرومية، و رسالة في (لو) الشرطية، و رسالة في الهمزة المسهلة، ورسالة في النكرة و اسم الجنس و علمه و المعرف بلام الحقيقة و لام العهد، و نظم في المجاز والإستعارات، و له تفسير للقرءان الكريم من سورة النساء إلى قوله تعالى في سورة غافر: يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع.

توفي بموطنه بفاس سنة 1227 هـ، أنظر ترجمته في النبوغ المغرب لعبدالله كنون 1: 294، شجرة النور الزكية لمخلوف 1: 539_540 رقم 1516. إتحاف المطالع، لابن سودة 1: 108. سلوة الأنفاس، للكتاني 3: 2_3. الفكر السامي، للحجوي 2: 351 رقم 781. الإستقصا، للناصري 4: 149. الأعلام للزركلي 6: 178. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر 345_347.

نفسي بين الأقران حقير الشان. و لست من عداد فرسان هذا الميدان، أردت أن أجعل عليها تقييدا. يكون إن شاء الله تعالى لكل طالب مفيدا. وسميته **نظم الجمان في شرح نظم ابن كيران في البيان.** و على الله قصد السبيل، فهو حسبي و نعم الوكيل.

قال الناظم رحمه الله: (البسملة) غير خاف عمن كان بالأمور بصيرا. أن ترك الكلام على البسملة بما يناسب الفن المشروع فيه يرى قصورا أو تقصيرا. و ذكر ذلك فيه أداء حقين: أولهما حق المشروع فيه من هذه الحيثية، و ثانيهما حق البسملة من ذلك الفن كذلك. على أن ما لا يمكن كله لا يترك بعضه أو جله، فلنتكلم على بعض ذلك أداءً لهذين الحقين. و من الله أسأل الإعانة والتوفيق لسبيل الحق من غير مين، فأقول:

ابتدأ نظمه بالبسملة عملا بقوله صلى الله عليه و سلم أول ما كتب القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا كتبتم كتابا فاجعلوها في أوله و في رواية: أول ما كتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا كتبتم كتابا فاكتبوها أوله، و هي مفتاح كل كتاب أنزل. و لما نزل عليّ بها جبريل أعادها ثلاثا، و قال: هي لك و لأمتك، فمرهم أن لا يدعوها في شيء من أمورهم، فإني لم أدعها طرفة عين، فقد نزلت على أبيك آدم عليه السلام. و كذلك الملائكة و خوفا من الوقوع فيما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم[1]، وفي رواية: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع[2]. و في رواية: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر[3]. الروايات الثلاث مختلفة وفي هذا الحديث روايات بسطنا الكلام عليها في غير هذا التقييد نظما و نثرا و الله الموفق، و مما يتعلق بها من هذا الفن مباحث: الأول في بابها: اعلم أولا أن الباء لها معان أشار لها الشيخ ابن عبد الرحمن اليبدري بقوله على سبيل التورية

تعد لصوقا و استعن بتسبـــــــــب	و بدل صحابا قابلوك بالاستعلا
و زد بعضهم إن جاوز الظرف غاية	يمينا تحز للبا معانيها كــــــلا

[1] أنظر عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، للعيني (كتاب الإيمان) 1: 101، ثم قال الشارح عقب ذكره للحديث: فهذا و إن كانت البسملة مغنية عنه لكنه كررها لزيادة الإعتناء على التمسك بالسنة، و للتبرك بابتداء اسم الله تعالى في كل أمر. إهـ. و انظر أيضا نيل الأوطار للشوكاني (أبواب صفة الوضوء و فرضه) باب التسمية للوضوء 1: 159.

[2] أنظر جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الكاف مع اللام) 5: 430 رقم 15761.

[3] يعزز هذه الرواية ما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز و جل فهو أبتر، أو قال أقطع. إهـ. مسند الإمام أحمد (مسند أبي هريرة رضي الله عنه) 3: 43 رقم 8648. سنن النسائي الكبرى (كتاب عمل اليوم و الليلة) ما يستحب من الكلام عند الحاجة رقم 10232.

قال المحقق الصبان[1] في رسالته: فإن قلت ورود الباء كغيرها من حروف الجر لمعان مختلفة هل هو على طريق الاشتراك اللفظي أو الحقيقة أو المجاز؟ قلت: المعاني المختلفة الوارد لها حرف الجر إن تبادرت منه كالإستعانة و المصاحبة والسببية و التعدية الخاصة بالنسبة للباء فحقيقة فيكون الحرف مشتركا بينها لأن التبادر علامة الحقيقة. و لا حاجة لتكلف معنى كلي جامع لتلك المعاني و جعله الموضوع له الحرف إلى آخر كلامه.

و اعلم أنه اختلف في أصالة الباء من البسملة و معانيها، فقيل بزيادتها. فيكون إسم مرفوعا بالإبتداء تقديرا لا محلا، كقولك بحسبك درهم، و الخبر محذوف، و التقدير اسم الله مبدوء به، أو أبدأ به بداءة قوية، أي بحسن إخلاص و نية، وأخذنا ذلك من كون الحرف الزائد يدل على التأكيد كما الرضى، و إلا كان عبثا لا يقع من العرب، و قولهم الزائد لا معنى له، أي غير التأكيد، ففي الباء مجاز بالزيادة على هذا القول، و مجاز بحذف الخبر على قول من يقول إن الحذف مجاز مطلقا، و قيل بأصالتها، وحقيقيها الإلصاق الذي لا يفارق الباء، و عليه اقتصر سيبويه، والإلصاق ينقسم إلى قسمين، حقيقي كأمسكت بزيد، إذا قبضت على شيء من جسمه، أو على ما يحبسه من يد أو نحوه، و مجازي نحو قولك مررت بزيد، أي ألصقت مروري بمكان يقرب من زيد، ثم استعملت هنا في غير معناها الأصلي، وهو الإستعانة على وجه الإستعارة التبعية كما سيقول الناظم:

و انسب إلى التبع إن تقع في   صفة أو في فعل أو في حرف

و لك أن تجعلها من قبيل المجاز المرسل علانية الإطلاق و التقييد و تقرير الإستعارة على الأول شبهة الإرتباط على وجه الإستعانة بالإرتباط على وجه الإلصاق بجامع مطلق الإرتباط في كل مسرى التشبيه للجزئيات. فاستعيرت الباء الموضوعة للإلصاق الجزءي للاستعانة الجزءية على طريق التبعية. و على الثاني تقول إن الباء موضوعة للإرتباط المقيد بالإلصاق، فأطلقت على ذلك و استعملت في الإرتباط على وجه الإستعانة.

---

[1] محمد بن علي الصبان، عالم بالعربية و الأدب، له مصنفات كثيرة منها: حاشية على شرح الأشموني على الألفية لابن مالك، و الكافية الشافية في علمي العروض و القافية، و إتحاف أهل الإسلام بما يتعلق بالمصطفى و أهل بيته الكرام، و حاشية على شرح الرسالة العضدية، و حاشية على السعد، إلى غير ذلك من مؤلفات أخرى.
توفي بالقاهرة عام 1206 هـ، أنظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك 2: 84، الأعلام للزركلي 6: 297. معجم المطبوعات لسركيس 1194.

المطلب الرابع في معانيها

قد اختلف العلماء رحمهم الله في معنى الباء من البسملة فقيل للمصاحبة، و هي التي يصلح في وضعها مع كقوله تعالى اهبط بسلام[1]، و المراد بالمصاحبة هنا بقرينة المقام التبرك، و قيل للإستعانة، و هذا ليس فيه سوء أدب كما يتبادر للفهم، لأن الله تبارك و تعالى هو المعين.

إذا كان عون الله للمرء ناصرا تهيا له من كل صعب مراده
و إن لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهـاده[2]

و فيها في معناها غير ذلك، و الإسم في اللغة ما دل على مسمى، و في الإصطلاح كلمة دلت على معنى في نفسها، و تعرضت بصيغتها للزمان، و هل الإسم عين المسمى أم لا؟ في ذلك كلام بين أهل السنة و المعتزلة، و الحق أن الخلاف بينهما لفظي. و على أنه خلاف المسمى قول من قال:

لو كان من قال نارا أحرقت فمه لما تلفظ باسم النار مخلوق[3]

و مذهب أهل السنة هو نفس المسمى، و اسم الجلالة الله علم على الذات الواجب الوجود، الموصوف بالصفات المستحق لجميع المحامد، الدال على الله تعالى دلالة جامعة لمعاني أسماء الله الحسنى، فقولنا علم على الذات فيه رد على النصارى الذين يقولون أنه سبحانه و تعالى صفة و تلك الصفة قامت بسيدنا عيسى ابن مريم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، و قولنا الواجب الوجود فيه رد على الدهرية القائلين ما هي إلا أرحام تدفع و أرض تبلع و ما يهلكنا إلا الدهر، و قولنا الموصوف بالصفات فيه ردٌّ على الظاهرية الذين نفوا الصفات كلها لا المعنوية و لا صفات المعاني وقوفا مع ظاهر القرآن و الحديث.

و قولنا المستحق لجميع المحامد فيه رد على المعتزلة الذين أثبتوا الصفات المعنوية لله تبارك و تعالى و نفوا عنه صفات المعاني، تنزه الله عن ذلك علوا كبيرا. و في قولنا الدال إلى آخره فيه إشارة إلى أنه هو اسم الله العظيم الأعظم، و عليه جمهور علماء الظاهر و جماعة من علماء الباطن، و قد ورد عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: ما بين بسم الله الرحمن الرحيم و الإسم الأعظم إلا ما بين سواد العين و بياضها

---

[1] سورة هود، الآية 48

[2] البيتان من شعر مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

[3] البيت من شعر أبي نواس، و قبله بيت آخر و نصهما معا:

يا من يوجه ألفاظي لأقبحهـــــا لأنه ساحر العينين معشوق
لو كان من قال نارا أحرقت فمه لما تفوه باسم النار مخلـوق

من القرب[1]، و اختلف في الأبلغ من الرحمن الرحيم، فقيل هو الأول. و قيل الثاني. وقيل معناهما واحد، و السر في اجتماع هذه الأسماء الثلاثة في البسملة هو أن العرب كانت تعرف المولى جل علاه بهذا الاسم و هو الله، و اليهود تعرفه باسم الرحمن لأنه معرب رخمان بالخاء المعجمة، و النصارى تعرفه بالرحيم، فقدم اسم الجلالة إشارة إلى تقديم العرب على غيرهم في الأفضلية، ثم بنو إسرائيل. قبل الإسلام لغيرهم إلا رتبة التأخير و قيل غير ذلك و لبعضهم:

و خصص الرحمان بالتقديم لأنه أبلغ من رحيـــم
لرحمة دنيا و أخــــرى أبدا و أنه بالله مختصا بدا

و في هذا القدر كفاية، و اعلم وفقني الله و إياك لما يحبه و يرضاه أنه ينبغي أيضا لكل خائض في فن أن يصوره أولا و يتكلم على مبادئه العشر، فلنذكر بعض ذلك هنا تتميما للفائدة، فأقول

قلادة مرصعة بالدرر في الكلام على المبادئ العشر

المبادئ العشر هي المجموعة في قولي:

لكل علم عندهم مبـــادي عشرة لحاضر أو بــــــادي
واضع اسم حده استمداد موضوعه مسائل مفــــــاد
و فضله نسبته و الحكم فاحْفظ فلازالت علاك تسمو

و أما واضعه فهو سيدنا علي كرم الله وجهه على المشهور، و قد أشار إلى قضية وضعه ابن شعبان[2] في ألفيته بقوله:

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال: هو اسم من أسماء الله، و ما بينه و بين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين و بياضها من القرب. إهـ... المستدرك للحاكم (كتاب فضائل القرءان) 1: 738 رقم 2064. جامع الأحاديث و المراسيل (مسانيد الصحابة) حرف الياء 18: 253 رقم 5461. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثاني) 1: 275 رقم 4047.

[2] شعبان بن محمد بن داود الموصلي المعروف بالآثاري، نحوي أديب، من مواليد الموصل بالعراق سنة 765 هـ، له ما يزيد على ثلاثين مصنفا، معظمها في الأدب و النحو، منها ألفيته التي سماها: كفاية الغلام في إعراب الكلام، و العمدة في المختار من تخاميس البردة، و الحلاوة السكرية (أرجوزة في النحو) و وسيلة الملهوف عند أهل المعروف، و ديوان شعر، و شرح على ألفية ابن مالك في ثلاثة أجزاء، لم يتمه.
توفي بالقاهرة سنة 828 هـ، أنظر ترجمته في الضوء اللامع، للسخاوي 3: 301. شذرات الذهب، لابن عماد 8: 184. الأعلام للزركلي 3: 164. كشف الظنون، لحاجي خليفة 2: 1497.

أول من أفادنا النحو علـــــي	سببه خلف حكاه الدؤلــــــــــي[1]
عن بنته التي نوت تعجبــــا	فاستفهمت برفع فعله أبـــــــا
و قال قولي ما أشد الحــــرا	بالنصب في الدال الثقيل و الــــرا
فاستنكرت مقالة أباهــــــا	فاستخبرت عن أصلها أبـــــاها
فقام في الوقت إلى الإمـــام	و ارث علم سيد الأنـــــــــام
و قال عندي يا إمام من لحن	و اللحن في أبنائنا من المحـــن
فما الذي يرمي إلى الصواب	و ما طريق الأجر و الثـــــواب
قال الإمام اكتب و خذه منـي	و انقله بين التابعين عنـــــــي
قال و ما أكتب قال البسملـة	و ضع ثلاثا في الكلام معلمـــه
إسما و فعلا ثم حرفا منهـــا	ركبه و المعنى يلوح عنهـــــا
فالإسم ما أنبأ عن مسمــــى	و الفعل عن حركة المسمـــــى
و الحرف ما عداها للمقتبس	فانح على ذا النحو ثم زد و قـس

حكى أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني أن سبب وضعه للنحو أن أبا الأسود دخل على بنته بالبصرة. فقالت له: يا أبت ما أشد الحر؟ برفع أشد و جر الحر، فظنها تستفهمه أي زمان الحر، فقال: شهرنا حر. فقالت له: إنما أردت الإخبار و التعجب ولم أستفهمك. فأتى علي ابن أبي طالب فقال له يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب حين خالطهم العجم، و أخاف أن تضمحل لغة العرب، فضع لنا علما، فقال له: و ما ذاك؟ فأخبره بخبر ابنته، فأمره باشتراء صفحة، فاشتراها بدرهم، وأملى عليه قوله الكلام كله لا يخرج عن إسم و فعل و حرف جاء لمعنى، و انحو على هذا النحو[2]، وفي رواية أن ابنة أبي الأسود لما قالت له: إنما أردت الإخبار و التعجب. قال: قولي ما أشد الحر، و افتحي فاك، يعني بنصبهما معا على التعجب، و إلى هذا أشار شيخنا الشريف مولاي إبراهيم العلوي[3] رحمه الله بقوله:

---

[1] ظالم بن عمرو بن ظالم، المشهور بأبي الأسود الدؤلي، تابعي جليل، سكن البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه، و ولي إمارتها إبان عهد علي كرم الله وجهه، له شعر جيد، و هو أول من نقط المصحف، كما أنه واضع علم النحو بإيعاز و توجيه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، توفي بالبصرة سنة 69.
أنظر ترجمته في الوافي بالوفيات، للصفدي 16: 305_308. وفيات الأعيان، لابن خلكان حرف الضاء 2: 235. تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني 12: 10، الإصابة، للمؤلف نفسه 2: 241. بغية الوعاة، للسيوطي 2: 22_23 رقم 1334، سير أعلام النبلاء، للذهبي (الطبقة الأولى من التابعين) 3: 97 رقم 395.

[2] أنظر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (أخبار أبي الأسود الدؤلي و نسبه). الوافي بالوفيات، للصفدي 16: 306_307. سير أعلام النبلاء للذهبي (الطبقة الأولى من التابعين) 3: 97 رقم 395.

[3] من عداد الشيوخ الذين أخذ عنهم العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، سبقت ترجمته ضمن الجزء الأول من هذه الرسائل.

فما أشد الحر بالنصب معا يرى تعجبا لدى من قد وعى
و رفع الأول و جر الثاني سمه بالإستفهام يا ذا الشان

و أما اسمه فهو من جهة الأحكام التركيبية يسمى بالإعراب، و هو المقصود هنا، ومن جهة الأحكام الإفرادية فهو التصريف، و المصنف رحمه الله لم يتعرض لهذا، وقد يطلق القسمين معا علم النحو، سمي به لقول سيدنا علي رضي الله عنه انح على هذا النحو، و هو في اللغة يطلق على معان سبعة أشار إلى بعضها ابن شعبان بقوله:

النحو في اللغة أصل وجهة قدر و قسم مثل

و أما حده فهو في الإصطلاح على أن التصريف غير داخل فيه علم يعرف به أحوال الكلمة العربية إعرابا و بناء، و إليه أشرت في منهج الدراية في نظم النقاية[1] بقولي:

علم به يعرف أحوال الكلم إعرابا أو بنا لديهم قد وسم[2]

و أما استمداده فهو كلام العرب. و أما موضوعه فهو الكلمات، لأنه يبحث فيه عن عوارضها الذاتية من الإعراب و البناء و كيفية التركيب و غير ذلك، و أما مسائله فهي قضاياه و قواعده، كقولنا الفاعل مرفوع. و المفعول منصوب. و المضاف إليه مخفوض، و أما فائدته فقد أشار إليها ابن شعبان في ألفيته بقوله

فائدة النحو صلاح الألسنة و الكشف عن وجه المعاني الحسنة

لأن به يعرف صواب الكلام من خطأه. و الإحتراز عن الخطأ في اللسان، مع الإستعانة على فهم جميع العلوم عموما، و على فهم الكتاب و السنة خصوصا، ولذلك قال الإمام مالك رضي الله عنه: لو صرت من العلوم في غاية، و من الفهوم في نهاية، فإن ذلك يرجع لأصلين كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا سبيل إليهما إلا بمعرفة اللسان العربي، و أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن شعبة: إذا كان المحدث لا يعرف النحو فهو كالحمار على رأسه مخلاة ليس فيها شعير.

مثل الطالب الحديث و لا يعـــــــــــرف نحوا و لا لـــه آلاته
كحمار قد علقت ليس فيها من شعير في رأسه مخـلاته

[1] منهج الدراية في نظم النقاية، من تآليف العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، سبقت الإشارة إليه ضمن الجزء الأول من هذه الرسائل.
[2] افتتح به باب علم النحو ضمن منظومته منهج الدراية في نظم النقاية، و هو البيت رقم 598 من المنظومة المذكورة.

و قال الكسائي رحمه الله:

النحو علم شريف	و فضل معناه بـــاد
فربه في أمـــــان	من زيغة في اعتقاد[1]

و أما فضيلته فهي فوقانه على سائر العلوم بالنسبة و الإعتبار، فهو أصل أصيل في فهم معانيها وسلاسة مبانيها، و في مدحه يقول أبو حيان من قصيدة:

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده	لقد فاز باغيه و أنجح قاصـــــــده
و ما فضل الإنسان إلا بعلمـــه	و ما امتاز إلا ثاقب الذهن واقـــده
و قد قصرت أعمارنا و علومنا	يطول علينا حصرها و نكابـــــده
و في كلها خير و لكن أصلهـــا	هو النحو فاحذر من جهول يعانده[2]

و أخرج البيهقي في شعب الإيمان من طريق الواقدي عن أبي الزناد عن أبيه: ما تزندق من تزندق بالمشرق إلا جهلا بكلام العرب و عجمة قلوبهم، و قال السيوطي في ألفيته[3]:

النحو خير ما به المرء عني	إذ ليس علم عنه حقا يعتني

و لذلك قال صلى الله عليه و سلم: أعربوا الكلام كي تعرفوا القرآن[1]. و عن ابن عمر مرفوعا: أعربوا القرآن يدلكم على تاويله[2]. و عن أبي داوود رضي الله عنه قال:

---

[1] قريب من هذا قول الشاعر:

رأيت العز في أدب و عقـل	و في الجهل المذلة و الهوان
و ما حسن الرجال لهم بزين	إذا لم يسعد الحسن اللســـان
كفى بالمرء عيبا أن تـــراه	له وجه و ليس له لســـــان

و قريب منه أيضا قول الشاعر:

إن علم الإعراب شيء عجيب	ينتقيه من العلوم اللبيــــــــب
فبه يرتقي سماء المعانـــــي	و يحل المعنى العويص الغريب

[2] قريب من هذا قول الشاعر

النحو قنطرة إلى العلـــــــــوم فهل	يجاز بحر على غير القناطير
إن النحاة أناس بان مجدهـــــــــم	فوق العباد جميعا بالمقاديـــر
أصل الفصاحة لا يخشون من أحـــد	عند القراءة في أعلى المنابر
فهل علمت بذيب خاف من عنــــم	أو أجود الأسد ذلت للخنازير
لو يعلم الطير ما في النحو من شرف	غنت و رنت إليه بالمناقيـــر

[3] ألفية الحافظ السيوطي (في علم النحو) سماها الفريدة، جمع فيها بين ألفية ابن مالك و ألفية ابن معط، ثم شرحها بشرح مفيد سماه: المطالع السعيدة.

سمعت الأصمعي يقول: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قول النبي صلى الله عليه و سلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، لأنه لم يكن صلى الله عليه و سلم يلحن، فمهما رويت عنه و لحنت فيه كذبت عليه[3]، و من فضائل العربية أنه لم ينزل وحي على نبي إلا بها كما ورد في الحديث: لم ينزل وحي إلا بالعربية: ثم ترجم كل نبي لقومه[4]. أخرجه ابن أبي الثوري. ومنها أن كلام الجنة يكون بها، كما نص عليه غير واحد من الجلة من فحول الملة[5]. و من الآثار الواردة في ذلك ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مر عمر بقوم قد رموا رشقا فأخطأوا. فقال: ما أسوء رميكم، فقالوا: نحن متعلمين بالياء، فقال لهم: لحنكم عليّ أشد من سوء رميكم، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: رحم الله امرءا أصلح من لسانه[6]، و قال عمر رضي الله عنه أيضا: تعلموا العربية، فإنها تزيد في العقل و المروءة[7].

---

[1] أنظر جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الهمزة مع العين) 1: 473 رقم 3282. فيض القدير شرح الجامع الصغير (حرف الهمزة) رقم 1150. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الهمزة) 1: 198 رقم 1977. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الأول) 1: 187 رقم 2783.

[2] ذكره الحافظ السوطي في كتابه الإتقان في علوم القرءان 2: 175، و عزاه لأبي طاهر السلفي في كتابه الطيوريات.

[3] أنظر تهذيب الكمال، ليوسف بن الزكي المزي 18: 388. تهذيب الراوي، للسيوطي 2: 106. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، للحموي (الفصل الأول في فضل الأدب و أهله و ذم الجهل وحمله)

[4] أنظر تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: و إنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين، و عزاه فيه للتابعي الجليل سفيان الثوري.

[5] إشارة لقوله صلى الله عليه و سلم: أنا عربي، و القرءان عربي، و لسان أهل الجنة عربي. إهـ. مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب علامات النبوة) باب ما جاء في فضل العرب 10: 25 رقم 16600 رقم 16602، المستدرك، للحاكم النيسابوري (كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم) 4: 98 رقم 7078.

[6] أنظر كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد العاشر) 1: 2014 رقم 29344. مسند الشهاب القضاعي 1: 338 رقم 580. فيض القدير شرح الجامع الصغير (حرف الراء) 4: 24 رقم 4423.

[7] أنظر جامع الأحاديث و المراسيل (مسانيد الصحابة) حرف الياء 18: 253 رقم 2306. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثالث) 1: 635 رقم 9037. تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (حرف الشين المعجمة) 2: 561.

و قال سيدنا علي كرم الله وجهه:

النحو يصلح من لسان الألكن	و المرء تكرمه إذا لم يلحن
و إذا طلبت من العلوم أجلهـا	فأجلها منها مقيم الألســـن[1]

ولابن بشار و قد أجاد:

رأيت لسان المرء آية عقلـــه	و عنوانه فانظر بماذا تعنـون
و لا تعد إصلاح اللسان فإنــه	يخبر عما عنده و يبيـــــــن
و يعجبني زي الفتى و جماله	فيسقط من عيني ساعة يلحن[2]

و أما نسبته لباقي العلوم فهي التباين، و أما حكم الشرع فيه فهو الوجوب الكفائي على أهل كل ناحية، و العيني على قارئ التفسير و الحديث، و في هذا القدر كفاية.

التعريف بالمصنف رحمه الله تعالى

هو الشيخ الإمام الحجة الهمام أبو عبد الله السيد محمد بن محمد الصنهاجي[3]، ولد رحمه الله سنة 672 هـ و هي السنة التي توفي فيها الإمام ابن مالك رحمه الله، وتوفي

---

[1] اللحن آفة فظيعة، كثيرة المساوئ، و مما وقفت عليه في هذا الموضوع قول مولانا علي كرم الله وجهه:

لحن الشريف يحطه عن قدره	فتراه يسقط من لحاظ الأعين
و ترى الذكي إذا تكلم معربـا	حاز النباهة بالبيان المعلـــن

و منه أيضا قول بعض الشعراء:

إذا ركب الفقيه جواد نحو	يكون له الفخارُ على الرجال
يقول مقالة من غير لحـن	و تكمل عنده جل الخصـــال

و منها أيضا قول شاعر آخر:

إنما النحو قياس يتبــــــع	و به في كل علم ينتفـــــــــع
و إذا ما أتقن النحو الفتـــى	مر في المنطق مرا فاتســـــع
و إذا لم يعرف النحو الفتـى	هاب أن ينطق حينا فانقمـــــع
فتراه ينصب الرفع و مـــا	كان من نصب و من خفض رفع

[2] منهم من ينسب هذه الأبيات للعلامة المحدث يحيى بن عبد الحميد الحماني الكوفي، المتوفي بالكوفة بالعراق سنة 228 هـ.

[3] المراد به محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، المعروف بابن أجروم، له غير متن الأجرومية مؤلفات أخرى: فرائد المعاني في شرح حرز الأماني، في مجلدين، يعرف بشرح الشاطبية.
أنظر ترجمته في النبوغ المغربي لعبدالله كنون 1: 210. شجرة النور الزكية، لمخلوف 1: 312 رقم 794. درة الحجال في أسماء الرجال 2: 109. الأعلام للزركلي 7: 33. جذوة الإقتباس، لابن القاضي 1: 233_234 رقم 208. وفيات الونشريسي 104. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 1: 261 رقم 1051. كفاية المحتاج، للتنبكتي 2: 252_253.

رحمه الله سنة 723هـ وهي السنة التي ازداد فيها ابن عرفة رحمه الله، و دفن داخل باب الحديد بمدينة فاس، صانها الله من كل باس، حكي عنه رضي الله أنه ألف هذا المتن تجاه بيت الله الحرام، و لما أكمله ألقاه في البحر، و قال: إن كان خالصا لله فلا يبتل و إلا فلا، فكان الأمر على وفق مراده، و لذلك نفع الله به جميع عباده، و الله الموفق للصواب، و إليه المرجع و المآب، ثم قال رحمه الله:

يحتمل عندي أن تكون هذه ترجمة. أي هذا باب الكلام كما فعل غير واحد، و هذا هو الرجح والمرجوح الاحتمال المقابل، و بدأ رحمه الله بالكلام عليه، لأن به يقع التفاهم و التخاطب، و من الألطاف الإلهية حدوث الألفاظ اللغوية ليعبر بها عما كن في الضمير، فالكلام هنا هو المقصود بالذات، و به يجاب عن قول بعضهم: كان من حقه أن يتكلم على الكلمة ثم يعرف الكلام لأنها مفردة و هو مركب، و معرفة المفرد سابقة عن المركب، و أل فيه للعهد الذهني أي الكلام المعهود في الأذهان، و هو كلام النحويين، و يحتمل أن تكون عوضا عن مضاف إليه، و ذلك المضاف إليه إما أن يكون إسما أو مضمرا، فيكون الأصل كلام النحويين هو كذا، أو كلامنا معشر النحويين. و المصنف من جملة النحاة هو كذا، و ذلك لأن الكلام في كل اصطلاح بحسبه، فهو في اللغة عبارة عن القول أو ما كان مكتفيا به. فيطلق عندهم على الإشارة، و منه قوله تعالى: قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا[1]. و الرمز الإشارة، و منه قول الشاعر:

إذا كلمتني بالعيون الفواتـــــر	رددت عليها بالدموع البــوادر
فلم يعلم الواشون ما كان بيننا	و قد قضيت حاجاتنا بالضمائر[2]

و يطلق على لسان الحال، و منه قوله تعالى: يوم يقول لجهنم هل امتلأت و تقول هل من مزيد[3]. و قيل كلامها يكون حقيقة، و منه قول الشاعر:

إمتلأ الحوض و قال قطني	مهلا رويدا قد ملأت بطني

---

[1] سورة آل عمران، الآية 41

[2] وقفت على تشطير لهذين البيتين للشاعر حسن حسني باشا الطويراني المتوفي بالقاهرة سنة 1315 هـ، و نص تشطيره كالتالي:

إذا كلمتني بالعيون الفواتــــــر	جعلت لها الأجفان قلبي و خاطري
و إن أرغمت أمرا علي امتثاله	رددت عليها بالدمـــــــوع البوادر
و لم يعلم الواشون ما كان بيننا	و ما تفعل الأشجان بين السرائـــر
لقد جهلت أمري و عابوا تذللي	و قد قضيت حاجاتنا في الضمائـر

[3] سورة قاف، الآية 30

و يطلق على المعنى القائم بالنفس، و هو حديث النفس، و منه قول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد و إنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا

و يطلق على التكلم. و منه قول الشاعر:

قالوا كلامك هندا و هي مصغية   يشفيك قلت صحيح ذاك لو كانا

و هو اسم مصدر لكلم، و في اصطلاح الفقهاء، و هو ما أبطل من حرف كم، أو حرفين كقم، أفاد أو لم يفد، إذا تعمد ذلك المصلي تبطل صلاته، و عند المتكلمين هو المعنى القائم بالذات العلية المعبر عنه بالعبارات المختلفة، المباين لجنس الحروف والأصوات، المنزه عن البعض و الكل و التقديم، و التأخير و السكون، و اللحن والإعراب، و سائر أنواع التغيرات المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات كما في المقدمات. و الكلام بفتح الكاف مشتق من الكلام بكسرها جمع كلمة و هي الجرحة جمعا قياسيا قال ابن مالك:

فعل و فعلة فعال لهما   و قل فيما عينه اليا منهما[1]

و من إطلاق الكلام على الجراح قول الشاعر:

أجدك ما لعينك لا تنام   كأن جفونها فيها كِلام[2]

---

[1] البيت من ألفية ابن مالك، و هو البيت رقم 808 من الألفية المذكورة

[2] البيت من شعر الصحابي الجليل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، هو مطلع قصيدة له في رثاء النبي صلى الله عليه و سلم، و تمام هذه القصيدة كالتالي:

أجِدَّكَ ما لعينك لا تنـــــــام   كأن جفونها فيها كـــــــلام
لأمر مصيبة عظمت وجلـــت   و دمع العين أهونه انسجـــام
فجعنا بالنبي و كان فينـــــا   إمام كرامة نعم الإمـــــــام
و كان قوامنا و الرأس فينـــا   فنحن اليوم ليس لنا قـــــوام
نموج و نشتكي ما قد لقينــــا   و يشكو فقده البلد الحـــــرام
كأن أنوفنا لاقين جدعــــــا   لفقد محمد فيه اصطـــــلام
لفقد أغر أبيض هاشمــــــي   تمام النبوة و به الختـــــــام
أمين مصطفى للخير يدعـــو   كضوء البدر زايله الظـــلام
سأتبع هديه ما دمت حيــــا   طوال الدهر ما سجع الحمام
أدين بدينه و لكل قــــــوم   تراهم من ذؤابته نظــــــام
فقدنا الوحي مذ وليت عنــــا   وودعنا من الله الكـــــلام
سوى ما قد تركت لنا رهينـا   توارثه القراطيس الكـــرام
فقد أورثتنا ميراث صــــدق   عليك به التحية و الســـلام
من الرحمان في أعلى جنـان   من الفردوس طاب بها المقام
رفيق أبيك إبراهيم فيهـــــا   فهل في مثل صحبته نـــدام
و إسحاق و إسماعيل فيهـــا   بما صلوا لربهم و صامـــوا
فلا تبعد فكل كريم قــــــوم   سيدركه و لو كره الحمـــام
كان الأرض بعدك طار فيها   فأشعلها بساكنها ضــــرام

و المعنى الجامع بين الإشتقاق هو التأثير في كل من الكلام و الجراح، و ذلك أن الكلام إذا كان حسنا أثر في النفس سرورا، و إذا كان قبيحا أثر فيها تغييرا و أضفى فيها شرورا، و قد يطب الجراح بالكلام الطيب، و أما تأثير الكلام فلا دواء له كما قيل:

جراحات السنان لها التئام   و لا يلتام ما جرح اللسان

و قد أجاد القائل في قوله:

و داوي بلين ما جرحت بغلظة   فطب كلام المرء طيب كلامه

و أما الكُلام بضم الكاف فهي الأرض التي لا تنبت شيئا، و إلى هذا أشار شارح مثلث قطرب[1] بقوله:

أما الحديث فالكــــــــلام   و الجرح في المرء الكلام
و الأرض الصبخة الكلام   لليبس و التصـــــــــــب

[1] مثلث قطرب، نسبة للعلامة النحوي محمد بن المستنير، يعرف بقطرب، و هو أحد تلامذة سيبويه، توفي سنة 206 هـ، و يسمى كتابه: المثلث في اللغة، و قد شرحه جماعة من العلماء منهم: عبد الوهاب بن الحسن المهلبي، و محمد بن جعفر القيرواني، و عمر بن محمد ابن عديس، و قد شرحه هذا الأخير في عشرة أجزاء.